سورة الصافات

٨٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝٥﴾.

إن قلت: لم جمع هنا المشارق وحذف مقابله، وثناه فى الرحمة، وجمعه فى المعارج وأفرده فى المزمل مع ذكر مقابلة فى الثلاثة؟

قلت: لأن القرآن نزل على المعهود، من أساليب كلام العرب وفنونه ومنهما الاجمال والتفصيل والذكر والحذف، والجمع والتثنية والافراد باعتبارات مختلفة، فأفرد وأجمل فى المزمل، بقوله: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما، وجمع وفصل فى المعارج بقوله: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ أراد جميع مشارق السنة ومغاربها، وهى تزيد على سبعمائة وثنى وفصل فى الرحمن بقوله: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربهما، وجمع وحذف هنا بقوله: ﴿رب المشارق﴾ أراد جميع مشارق السنة واقتصر عليه لدلالته على المحذوف وخص ما هنا بالجمع موافقة للجموع أول السورة وبالحذف مناسبة للزينة فى قوله: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾، إذ الزينة إنما تكون غالبًا بالضياء والنور، وهما ينشئان من المشرق لا من المغرب، وما فى الرحمن بالتثنية موافقة للتثنية فى ﴿يسجدان﴾ وفى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ ويذكر المتقابلين موافقة لبسط صفاته تعالى وإنعاماته ثم، وما فى المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله وبعده، ويذكر المتقابلين موافقة لكثرة التأكيد فى القسم وجوابه، وما فى المزمل بالافراد موافقة لما قبله من افراد ذكر النبى ﷺ وما بعده من افراد ذكر الله تعالى، وبذكر المتقابلتين موافقة للحصر فى قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ وأبسط أوامر الله تعالى لنبيه ﷺ.

٨٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾.

إن قلت: لم خص سماء الدنيا بزينة الكواكب، مع أن بقية السماوات مزينة بذلك؟

قلت: لأنا إنما نرى سماء الدنيا، دون غيرها.

٨٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

«عجبت» بضم التاء على قراءة حمزة والكسائى.

فإن قلت: ما وجهة مع أن التعجب روعة تعترى الإنسان، عند استعظام الشىء، والله منزه عنها؟

قلت: أراد بالتعجب الاستعظام وهو جائز على الله تعالى، أو معناه: قل يا محمد بل عجبت وفى الذى تعجب قولان: أحدهما كفرهم بالقرآن والثانى إنكارهم البعث.

٨٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ختم الآية بقوله: ﴿أئنا لمبعوثون﴾؟ وختم التى بعدها بقوله: ﴿أئنا لمدينون﴾؟ أى لمجزيون ومحاسبون لأن الأول فى حق المنكرين للبعث والثانية فى حق المنكرين للجزاء وإن كان كل منهما «مستلزمًا»[٠] للآخر.

٨٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

إن قلت: كيف قال عقبه فى قصص ـ ما عدا قصة «لوط، ويونس، وإلياس» ـ ﴿سلام على نوح﴾، ﴿سلام على إبراهيم﴾، ﴿سلام على موسى وهارون﴾، ﴿سلام على الياسين﴾ ولم يقل ذلك فى قصص الثلاثة؟

قلت: اكتفاء فيها بقوله: ﴿وأن لوطًا لمن المرسلين﴾ ﴿وأن يونس لمن المرسلين﴾ ﴿وأن إلياس لمن المرسلين﴾.

---

٨٥٨ ـ انظر تفسير الطبرى ٢٣/ ٢٩ والدر المنثور ٥/ ٢٧٢.

[٠] ص: مستلزم. وهو خطأ نحوى من الناسخ.

٨٦٠ ـ حاشية الصاوى على الجلالين ٣/ ٣٣٩ والبرهان ٤٢٩.

٨٦١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾.

إن قلت: كيف مدح تعالى نوحًا وغيره كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بذلك مع أن مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين؟

قلت: إنما مدحهم بذلك تنبيهًا لنا على جلالة محل الإيمان وشرفه، وترغيبًا فى تحصيله، والثابت عليه، والازدياد منه، كما قال تعالى فى مدح إبراهيم عليه السلام: ﴿وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾.

٨٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

لم يقل «إلى النجوم» مع أن النظر إنما يتعدى بـ «إلى» كما فى قوله تعالى: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ لأن «فى» بمعنى «إلى» كما فى قوله تعالى: ﴿فردوا أيديهم فى أفواههم﴾، أو أن النظر هنا بمعنى الفكر، وهو يتعدى بـ «فى» كما فى قوله تعالى: ﴿أولم ينظروا فى ملكوت السماوات﴾ فصار المعنى: ففكر فى علم النجوم.

فإن قلت: لو لم يجز النظر فى علم النجوم، كما جاز لإبراهيم؟

قلت: إذا كان الناظر فيه كإبراهيم، فى أن الله أراه ملكوت السماوات والأرض، جاز له النظر فيه.

وقوله: ﴿إنى سقيم﴾ قاله إبراهيم عليه السلام، ليتخلف عنهم إذا خرجوا إلى عيدهم فيكيد أصنامهم.

فإن قلت: كيف جاز له أن يقول ذلك، مع أنه ليس بسقيم؟

قلت: معناه سأسقم كما فى قوله تعالى: ﴿إنك ميت﴾ أو سقيم القلب عليكم لعبادتكم للأصنام وهى لا تضر ولا تنفع أو أن من يموت فهو سقيم.

٨٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ أى يسرعون المشى.

---

٨٦٢ ـ راجع القرطبى ١٥/ ٩٢.

٨٦٣ ـ راجع القرطبى ١٥/ ٩٠ والطبرى ٢٣/ ٤٧.

فإن قلت: هذا يدل على أنهم عرفوا أن إبراهيم هو الكاسر لآلهتهم، وقواه فى الأنبياء ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ الآية، يدل على أنهم ما عرفوا أنه الكاسر لها؟

قلت: يحتمل أن بعضهم عرفه فأقبل إليه.

٨٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ أى إلى حيث أمرنى ربى وهى المهاجرة للشام، أو إلى طاعة ربى ورضاه وقوله: ﴿سيهدين﴾ أى سيثبتنى على هداى ويزيدنى هدى.

٨٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

ختمه هنا بـ ﴿حليم﴾ وفى الحجر والذاريات«٢٨» بـ ﴿عليم﴾ نظرًا فى ذينك لشرف العلم، وفيما هنا لمناسبته حلم الغلام، لوعده بالصبر فى جوابه لسؤال ابنه له فى ذبحه بقوله ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾.

٨٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ .. ﴿١٠٢﴾﴾ الآية، أى فى ذبحى إياك، لم يشاوره ليرجع إلى رأيه لأن أمر الله حتم، لا يتخلف الأنبياء عنده بل ليختبر صبره، وليوطن نفسه على الذبح فيلقى البلاء كالمستأنس به، ويكتسب الثواب بصبره وانقياده ولتكون «سنة» فى المشاورة، فقد قيل: لو شاور آدم عليه السلام الملائكة فى أكل الشجرة، لما صدر منه ما صدر.

واختلفوا فى الذبيح هل هو «إسماعيل» أو «إسحاق» والجمهور على أنه إسماعيل.

٨٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا .. ﴿١٠٥﴾﴾.

---

٨٦٦ ـ انظر الطبرى ٤٨/٢٣ والقرطبى ٩٩/١٥.

٨٦٧ ـ راجع القرطبى ١٥/ ١٠٢.

إن قلت: كيف قال: ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ مع أن تصديقها إنما يكون بالذبح ولم يوجد؟

قلت: معناه قد فعلت ما فى غاية وسعك، مما يفعله الذابح من القاء ولدك، وامرار المدية على حلقه، ولكن الله منعها أن تقطع أو أن الذى رآه فى النوم، معالجة الذبح فقط لاراقة الدم وقد فعل ذلك فى اليقظة فكان مصدقًا للرؤيا.

٨٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ جواب «لما» محذوف أى استبشروا واغتبطا شكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليهما من الفداء، أو قوله ﴿ناديناه﴾ والواو زائدة.

٨٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

إن قلت: لم قاله هنا أعنى فى قصة إبراهيم بحذف ﴿أنا﴾ وأثبته فى آخر غيرها من القصص؟

قلت: حذفه فى قصة إبراهيم اختصارًا، واكتفاء بذكره له قبل فى قصته بقوله: ﴿ناديناه أن يا إبراهيم﴾ الآية، مع أن ما بعد قصته كان من تكملتها وهو قوله: ﴿وبشرناه بإسحق نبيًا من الصالحين﴾ بخلاف سائر القصص.

٨٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

إن قلت: لوط كان رسولاً قبل التنجية، فما وجه تعلق ﴿إذ نجيناه﴾ به؟

قلت: هو ليس متعلقًا به، بل بمحذوف تقديره: واذكر، وكذا القول فى قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾.

٨٧١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾.

---

٨٦٨ - انظر الطبرى ٢٣/ ٥١.

٨٧١ ـ القرطبى ١٥/ ١٣٢.

إن قلت: «أو» للشك وهو على الله محال؟

قلت: «أو» بمعنى «بل» أو بمعنى الواو، أو المعنى أو يزيدون فى نظرهم، فالشك إنما دخل فى قول المخلوقين.

٨٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾.

تهديد لهم، ثم أعاده فى قوله: ﴿وأبصر فسوف يبصرون﴾ تأكيداً. أو لأن الأول فى الدنيا، والثانى فى الآخرة، وحذف منه المفعول اكتفاء بذكره أولاً.

« تمت سورة الصافات »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

٨٧٢ ـ انظر البرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرمانى بتحقيق السيد الجميلى. مسألة رقم ٤٣٢.